بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ﴾

الصادقين

الإسلام محتاج الى جميع أبنائه

الخميس ٤ صفر ١٤٤١ هـ / ٣ تشرين الأول ٢٠١٩ م العدد ١٩٦

نشرة تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل احاديث وخطابات وفتاوى واخبار سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

السياسة النبوية المباركة في مكافحة داء التعصب

المرجع اليعقوبي يقف مؤبناً عند موضع ارتقاء شهداء ركضة طويريج

تشرف سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) اليوم الثلاثاء بزيارة الإمام الحسين (ع) وأخيه أبي الفضل العباس (ع) وأصحابه الشهداء الميامين. وقد توقف سماحته عند مدخل الصحن الحسيني الشريف في باب الرجاء حيث ارتقى العشرات من شهداء ركضة طويريج في الحادث المؤسف يوم عاشوراء، مؤبناً ومترحماً على أرواح الشهداء وداعيا لهم برفيع الدرجات والحشر في زمرة أصحاب الإمام الحسين (ع).

الثلاثاء ١٧/ ٩/ ٢٠١٩ م
١٧/ محرم الحرام/ ١٤٤١هـ

(من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته)(١)
معرفة قيمة النفس سبب لاجتناب المعاصي(٢)

يعلمنا أمير المؤمنين (ع) بهذه الكلمة القصيرة طريقة للتخلص من الوقوع في المعاصي، لأن سبب ارتكاب الذنوب مع معرفة خطرها في الدنيا وعقوبتها في الآخرة هو اتباع الشهوات، فالشهوة الجنسية تدفعه إلى النظرة المحرّمة والعلاقة غير المشروعة بكل مستوياتها، والشهوة الغضبية تدفعه إلى الظلم والعدوان على الآخرين، وشهوة المال تدفعه إلى الكسب غير المشروع والاستيلاء على أموال الآخرين، والانانية تدعوه الى انتقاص الآخرين وغيبتهم والتكبّر وحب الجاه والسمعة ونحو ذلك، وفي هذا المعنى كلمة قصيرة أخرى لأمير المؤمنين (ع) قال (من كساه الحياء ثوبه، لم ير الناس عيبه)(٣).

وعلاج هذا الاندفاع وراء الشهوات لا يكون باستئصالها وازالتها لأنها غرائز أودعها الله تعالى في الانسان لتؤدي غرضاً ايجابياً مثمراً، فالشهوة الجنسية لحثه على الزواج والانجاب حتى تتكاثر البشرية وتنمو وبدون هذا الدافع القوي لا يسعى الشخص الى تحمل مسؤوليات الزواج والاسرة واعبائها، واودعت الشهوة الغضبية ليدافع عن المقدسات ويواجه من ينتهك الحرمات ونحو ذلك.

فالعلاج إذن في ضبط هذه الشهوات وجعلها تحت السيطرة لتتحرك نحو الهدف الإيجابي فقط وتؤدي غرضها المنشود، وفي هذه الكلمة القصيرة لأمير المؤمنين (ع) يلفت نظرنا إلى ما يساعدنا على عملية الضبط هذه من خلال التفات الانسان إلى أهمية نفسه وقيمتها الكبرى فانها نفخة الهية في جسد الانسان ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ (الحجر:٢٩) لينال بها الجنان والحياة الكريمة في ظل رحمة الله تعالى ولا يقبل لها ثمناً غير هذا فانه بذلك يحفظ قيمتها وكرامتها، اما من يتبع شهواته ويرتكب الذنوب والمعاصي فانه يهينها ويحتقرها ويهدر قيمتها الثمينة، ويكتسب بها النيران بدل الجنان ويضيّع عليه هذا الرأسمال العظيم، ولا اعتقد أن عاقلاً يقبل بأن يجلب بماله على نفسه الجحيم بدل الفوز بالنعيم.

علماً بأن التجربة لا تتكرر ومن يموت لا يرجع الى الحياة مرة أخرى ليصحح اخطاءه، وهذا المعنى ورد في حديث للإمام الصادق (ع) قال (اتقوا الله وانظروا لأنفسكم، فإن أحق من نظر لها أنتم، لو كان لأحدكم نفسان فقدم احداهما وجرّب بها استقبل التوبة بالأخرى ولكنها نفس واحدة اذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة)(٤).

وفي الرواية الأخرى تكملة (فأنتم أحق أن تختاروا لأنفسكم).

فلا تغرنكم بعض الدعوات الخادعة باسم الحرية أو المجتمع المدني أو حقوق المرأة ونحو ذلك والتي تهدف الى تحويل الانسان إلى عبد للشهوات والغرائز فان فيها امتهاناً لكرامة الانسان وحط قيمته وربما يسعون الى سن قوانين لشرعنة ذلك كبعض المواد التي تضمنها قانون العنف الأسري المقدّم إلى البرلمان.

(١) نهج البلاغة: الحكم، الحكمة ٤٤٦.
(٢) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من الطلبة والشباب الذين قصدوا أيام المعايشة مع الحوزة العلمية في النجف الأشرف يوم الثلاثاء ٢/ صفر/ ١٤٤١ الموافق ١/ ١٠/ ٢٠١٩.
(٣) نهج البلاغة: الحكم، الحكمة ٢٢٠.
(٤) وسائل الشيعة: ١٥/ ٥٣ أبواب جهاد العدو، باب ١٣ ح ١٠.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ (الفتح:٢٦)
السياسة النبوية المباركة في مكافحة داء التعصب(٥)

تقع الآية في سياق الحديث عمّا وقع من أحداث انتهت إلى توقيع صلح الحديبية بين النبي (ص) وقريش حيث عزم النبي (ص) ومعه أصحابه على أداء العمرة وزيارة البيت الحرام في السنة السادسة للهجرة بعد واقعة الأحزاب وحين شارفوا على مكة محرمين ملبّين من غير سلاح منعتهم قريش من دخولها ومن الهدي أن يبلغ محله أنفة واستكباراً وعتواً إذ إن البيت الحرام آمن للجميع وليس من حق قريش منع أحد يقصده لكنهم أنفوا أن يدخل رسول الله (ص) مكة وزعموا أن في هذا إهانة لهم امام العرب فصدّوا رسول الله (ص) واصحابه عن أداء نسكهم وانتهت العملية بصلح الحديبية ورجوع النبي (ص) على أن يؤدي العمرة في السنة الآتية.

فالآية الكريمة تصف بعض أحوال مشركي قريش في مواجهتهم مع النبي (ص)، وتشخص داءً اجتماعياً فتاكاً يؤدي بصاحبه إلى الصدود عن الحق والابتعاد عن التفكير العقلاني ومنطق الحكمة وهو التعصب وحمية الجاهلية، حيث يصرّ المبتلى به على موقفه ورأيه ومعتقده ولا يريد أن يصغي إلى الآخر ولا يعطي لعقله الفرصة حتى يتعرف على ما هو الحق ليتبعه، وهو داء كان ولا يزال يفتك بالأمم ويمزّقها وينهي وجودها فلابد من الاستفادة من هذا الدرس القرآني لمعالجة هذا المرض الاجتماعي الخطير.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فهم باختيارهم أوجدوا في قلوبهم عصبية الجاهلية وصيّروا الغضب المودع في نفوسهم وقلوبهم لنصرة الحق والدفاع عن المقدسات والمبادئ النبيلة، غضباً جاهلياً فحرموا أنفسهم من رؤية الحق وإتباعه، والحمية هي الغضب اذا اشتد وازداد حتى تشتعل حماوته في القلب، اما الجاهلية فهي من الجهل، والمعروف في ثقافتنا العامة ان الجهل مقابل العلم فيطلق على حالة عدم العلم، لكنه في المصطلح القرآني يراد به ما يخالف الحكمة، ووضع الشيء في غير موضعه، وفعل الشيء على خلاف ما يستحقه سواء على صعيد العلم أو العمل وبه صرحت الآية الكريمة ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ (آل عمران:١٥٤) فجعل الجهل ما يقابل الحق، أما جعله في ثقافتنا مقابل العلم فباعتبار أن عدم العلم هو سبب الوقوع في ما يخالف الحكمة والحق.

واستقراء الآيات الكريمة يؤكد هذا المعنى وهو ان الجاهلية حالة وأوضاع تعيشها الأمة عندما تبتعد عن المنهج الإلهي في العقائد والتشريعات والسلوك ولا تختص بزمن معين، لاحظوا الآيات التالية التي ورد فيها لفظ الجاهلية، والمجالات العديدة التي تناولها:-

١. ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ (آل عمران:١٥٤) وهي تشير إلى جاهلية الاعتقادات والتصورات حينما لا يعتقد الانسان بالخالق أو لا يعرف صفاته سبحانه، أو يتعلق بالمؤثرات والأسباب دونه سبحانه أو يجعل له شركاء في التدبير، أو يراقب غيره في الملأ أكثر مما يراقبه تعالى في الخلوة، ونحو ذلك، فهذه كلها اعتقادات وظنون جاهلية.

٢. ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة:٥٠) وهي جاهلية التشريعات ووضع القوانين وفق ما تمليه اهواء الناس ومصالحهم وما تقتضيه ظنونهم وأنظارهم القاصرة من دون مراعاة الشريعة الإلهية، وقد وضع الأئمة المعصومون (ع) حدّاً فاصلا وحازما في ذلك، روى الشيخ الكليني بسند صحيح عن أبي بصير عن الامام الباقر (ع) قال (الحكم حكمان: حكم الله وحكم الجاهلية، وقد قال الله عز وجل ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ وأشهدوا على زيد بن ثابت لقد حكم في الفرائض بحكم الجاهلية)(٦).

٣. ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ (الأحزاب:٣٣) وهي جاهلية السلوك المنحرف عن تعاليم الشريعة والمخالف لما يريده الله تبارك وتعالى وقد فاقت جاهلية اليوم التصور في الانحلال والفساد والرجوع إلى أسوء حالات التخلف والحيوانية، وزادت على الجاهليات السابقة فكيف نحصر الجاهلية بزمان قبل الإسلام؟

٤. ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ (الفتح:٢٦) وهي جاهلية الفكر والثقافة والنزعات النفسية وسائر الدوافع التي تحرك الانسان في حياته ويبني عليها سلوكه وتصرفاته ويبرمج عليها سائر شؤونه.

لذا قلنا في كتاب (شكوى القرآن) وغيره ان الوقوف على المعنى المدرسي المتداول للجاهلية والذي يراد به الفترة الزمنية التي سبقت الإسلام خاصة ليس دقيقاً ولا يطابق المصطلح القرآني، ونعتبره افراغاً لهذا المصطلح المهم من معناه الذي تترتب عليه آثار عظيمة ومسؤوليات كبيرة على مستوى إصلاح الفرد والمجتمع، وربما يكون عذرهم أنه تقسيم فني للفترات الزمنية، لكنه قد يكون فعلاً متعمداً لخلق شعور لدى الأمة الإسلامية بالاسترخاء والراحة والدعة باعتبارهم قد أتوا ما عليهم وأصبح الناس مسلمين والمجتمع إسلامياً وما يستلزم ذلك من التخلي عن مسؤولية الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ووعي تفاصيل ما جاء به النبي محمد (ص) والالتزام بالشريعة على مستوى الفرد والمجتمع، وما يستلزم أيضاً من انتهاء وظيفة القرآن بإخراج الناس من الظلمات إلى النور، بينما الجاهلية بأشكالها المتعددة مستمرة ومسؤوليتنا في هداية الناس ورجوعهم الى الله تعالى متواصلة حتى يأذن الله تعالى بتطهير الأرض من الظلم والفساد والانحراف وإقامة دولة الحق والعدل.

وعلى أي حال، فان الآية محل كلامنا تتناول الشكل الرابع من مظاهر الجاهلية التي كانت تتحكم في المعسكر المقابل للنبي (ص) فقد كانت قريش مصابة بمرض الانانية والتكبّر والعناد والتعنت والرياء والبطر وكان التعصب يقودهم ويذكي في قلوبهم تلك الأمراض فتتحول إلى نيران تغلي في صدورهم ثم يصير غضبهم حمماً من الكراهية والعنف والحقد والحسد والانتقام مما يزيد في ولوغهم في الجريمة والانحطاط والضلال، ويصرّون على عبادة أصنام يصنعونها بأيديهم من الخشب والحجارة ثم يعبدونها من دون الله تعالى العظيم خالق السماوات والأرض؛ فأي حمية وعصبية اسوأ من هذه؟ بينما الفريق المقابل لهم وهم المؤمنون يتمتعون بالسكينة والاطمئنان والحكمة وحب الخير للجميع ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ - أي جعلها ملازمة لهم - ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ - لأنهم يستحقونها وهم حملتها من دون الناس ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الفتح:٢٦) فقد سلموا لأمر الله تعالى ورسوله ورجعوا عن زيارة البيت الحرام وخالفوا هواهم ورغبتهم في دخول مكة ولو عنوة.

ذم التعصب: وقد وردت أحاديث كثيرة في النهي عن التعصب لغير الحق، منها ما روي في الكافي عن رسول الله (ص) قال: (من تعصب أو تُعصِّب له فقد خلع ربق(٧) الايمان من عنقه)(٨) فالمتعصَّب له شريك في الذم لأنه رضي بفعلهم ولم ينههم عنها بل هيّأ الأجواء لها وزيّنها لهم، وعنه (ص) قال: (من كان في قلبه حبّة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع اعراب الجاهلية)(٩).

وقال (ص) (ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية)(١٠).

وقال أمير المؤمنين (ع) في بعض خطبه ﴿فأطفئوا ما كمن في قلوبكم من

التتمة في الصفحة الثالثة

(٥) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في افتتاح الموسم الدراسي يوم الأحد ١٦/ محرم/ ١٤٤١ الموافق ١٥/ ٩/ ٢٠١٩.
(٦) الكافي: ٧/ ٤٠٧ ح ١
(٧) ربق: جمع ربقة وهي كل ما يشدّ به [illegible] من عقائد وأحكام وأخلاق، والربقة في الأصل عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها.
(٨) الكافي: ٢/ ٣٠٨ ح ٢
(٩) سنن أبي داود: ٤/ ٣٣٢ ح ٥١٢١
(١٠) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢

نيران العصبيّة وأحقاد الجاهليّة فإنّما تلك الحميّة تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونخواته ونزغاته ونفثاته﴾ وقال (ع) فيها (فالله الله في كبر الحمية وفخر الجاهلية فإنّه ملاقح الشنآن - أي البغض - ومنافخ الشيطان التي خدع بها الأمم الماضية والقرون الخالية حتى أعنقوا في حنادس جهالته ومهاوي ضلالته)(١١).

ما هو التعصب:

التعصب يعني الانحياز للانتماء الشخصي أو الفئوي والتشدد في الدفاع عنه بغضّ النظر عن كون موقفه حقاً أو لا، فالمقياس عنده نصرة جهته وليس نصرة الحق ولو ظهر له الحق بالبرهان والدليل فانه يصرّ على ما هو عليه من معتقد أو موقف.

روي أن رسول الله (ص) سئل عن العصبية فقال (أن تعين قومك على الظلم)(١٢) وأجاب الامام زين العابدين (ع) قال (العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم)(١٣).

وروى في البحار عن كتاب الزهد للحسين بن سعيد بسند صحيح عن الامام الباقر (ع) قال (لما كان فتح يوم مكة قام رسول الله (ص) في الناس خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال: (ايها الناس ليبلغ الشاهد الغائب ان الله تبارك وتعالى قد اذهب عنكم بالإسلام نخوة الجاهلية والتفاخر بآبائها وعشائرها ايها الناس انكم من آدم وآدم من طين ألا وان خيركم عند الله واكرمكم عليه اليوم اتقاكم واطوعكم له ألا وان العربية ليست بأب والد ولكنها لسان ناطق فمن طعن بينكم وعلم انه يبلغه رضوان الله حسبه الا وان كل دم أو مظلمة أو احنة كانت في الجاهلية فهي تظل تحت قدمي الى يوم القيامة)(١٤).

وقد تنوعت وتشعبت العناوين التي يتعصب لها الناس فالعصبية يمكن أن تكون للأنا أو للعشيرة أو للحزب أو للقومية أو المصالح المادية أو اللون أو للمدينة أو للدولة أو للفريق الرياضي أو لشخص يهواه وقد يكون التعصب لأمور تافهة، وأشدها خطورة وأكثرها قسوة التعصب المغلف بالعناوين المقدسة التي يراد منها سوق الناس لأغراض دنيوية كالحروب الصليبية أو الفتن الطائفية التي تقع بين اتباع المذاهب داخل الدين الواحد ويذكر التاريخ الكثير من هذه الحروب والفتن الدامية، ومكمن خطورة هذا التعصب من جهة قوة تأثير الدين والمذهب على سلوك الانسان وتوجيهه، ومن جهة ان القداسة الدينية التي يغلفون بها مآربهم الدنيوية تسدُّ على الناس منافذ التفكير العقلاني وتغيّب منطق الحكمة خصوصاً اذا احاطوها بضجيج من التحشيد بكل الأدوات.

والتعصب من المهلكات التي تزّل فيها الأقدام وتكمن خطورته في انه يعمي صاحبه عن رؤية الحق ويفقده البصيرة فلا يقبل برأي الآخر وليس عنده الاستعداد لسماعه والتأمل فيه لأنه يعتقد أنه هو وحده صاحب الحق وانه وحده يمتلك الحقيقة وان غيره على باطل وضلال، مضافاً إلى أنه يؤجج في قلبه نيران الحقد والانتقام فيسير إلى شفاء غليله على غير هدى ويتخبط ويرتكب أفعال المجانين، روي عن أمير المؤمنين (ع) قوله (الحدّة ضرب من الجنون لأن صاحبها يندم، فإن لم يندم فجنونه مستحكم)(١٥) وعن الامام الباقر (ع) قال (إن هذا الغضب جمرة من الشيطان تتوقد في قلب ابن آدم، وإن أحدكم اذا غضب احمرّت عيناه وانتفخت أوداجه ودخل الشيطان فيه)(١٦).

تاريخ التعصب وما يتعصب له:

والعصبية متجذرة في بني آدم منذ أول الخلقة وكانت سبباً لهلاك ابليس وخروجه عن طاعة الله تعالى ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف:١٢) ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (الإسراء:٦١) قد اتخذها ابليس فخاً لإفساد الناس بعد أن تورط بها، قال أمير المؤمنين (ع) في ذم ابليس (فافتخر على آدم بخلقه، وتعصّب عليه لأصله فعدو الله امام المتعصبين وسلف المستكبرين الذي وضع أساس العصبية ونازع الله رداء الجبرية وادّرع لباس التعزز وخلع قناع التذلل..)(١٧).

وابتلي بها الناس من بعد ذلك، حتى في عصر النبوة والوحي والنور ترى العصبية الجاهلية تحرك بعض الناس كالتي حصلت بين الأوس والخزرج(١٨) حتى تواعدوا القتال على طريقتهم في الجاهلية لولا ان النبي (ص) بادر بسرعة واطفأ نار الفتنة. وكذا الفتنة التي كادت تشتعل بسبب العصبية بين المهاجرين والأنصار وهي التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون:٨) روى البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله قال (كنا في غزاة فكسع - أي ضرب دبره بيده - رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فسمّعها الله ورسوله (ص) فقال: ما هذا، فقالوا يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين، فقال النبي (ص) دعوها فانها منتنة)(١٩) فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال فعلوها أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. وفي تفسير علي بن ابراهيم ان الحادثة وقعت والنبي (ص) خارج في غزوة المريسيع فأسرع (ص) في رجوعه إلى المدينة وواصل سيره ليلا ونهاراً(٢٠) ليصل المدينة قبل وقوع المحذور.

وكان النبي (ص) حازماً في مواجهة العصبية ولو بأبسط اشكالها. روى في تفسير القمي في قوله تعالى ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ (الحجرات:١٧) ((نزلت في عثكن - كناية عن عثمان - وصرحت بذلك روايات أخرى - يوم الخندق وذلك أنه مر بعمار بن ياسر وهو يحفر الخندق وقد ارتفع الغبار من الحفر فوضع كمه على أنفه ومر، فأنشد عمار الرجز المروي عن أمير المؤمنين (ع):

لا يستوي من يعمر المساجدا
كمن يمرّ بالغبار حائدا
يظلّ فيها راكعاً وساجدا
يعرض عنه جاحداً معاندا

فالتفت إليه عثكن فقال: يا ابن السوداء ايّاي تعني، ثم اتى رسول الله (ص) فقال له لم ندخل معك لتسب أعراضنا، فقال له رسول الله (ص) قد أقلتك إسلامك فاذهب فأنزل الله ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾))(٢١).

وروى الثمالي عن الإمامين الباقر والصادق (ع) قال (إن أبا ذر عيّر رجلاً على عهد النبي (ص) بأمه فقال له: يا ابن السوداء، وكانت أمه سوداء، فقال له رسول الله (ص): تعيره بأمه يا أبا ذر؟ قال: فلم يزل أبو ذر يمرغ وجهه في التراب ورأسه حتى رضي رسول الله (ص) عنه)(٢٢).

وهكذا كان النبي (ص) حازماً في مواجهة التعصب ومحاولات التفرقة

التتمة في الصفحة الرابعة

(١١) سنن أبي داود: ٤/ ٣٣١ ح ٥١١٩ (١٢) الكافي: ٢/ ٣٠٨ ح ٧ (١٣) بحار الأنوار: ٧٣/ ٢٩٣ ح ٢٤، عن كتاب الزهد: ٥٦ ح ١٥٠ (١٤) نهج البلاغة: الحكمة ٢٥٥ (١٥) بحار الأنوار: ٧٣/ ٢٦٧ ح ٢١
(١٦) نهج البلاغة الخطبة ١٩٢ وهي خطبة جليلة مطوّلة في ذم العصبية والتحذير منها وبيان علاجها.
(١٧) حكى العلامة المجلسي في بحار الأنوار: ٩/ ٧٢ عن العلامة الشيخ الطبرسي (رحمه الله تعالى) في مجمع البيان في قوله تعالى ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (آل عمران:٩٩) [illegible]
(١٨) صحيح البخاري: ٦/ ٦٥ كتاب تفسير القرآن. (١٩) تفسير القمي: ٢/ ٣٦٨، البرهان: ٩/ ٣٠٢ ح ٣ (٢٠) بحار الأنوار [illegible]
(٢١) بحار الأنوار: ٢٢/ ٤٨١ ح ٢٨ عن كتاب الزهد للحسين بن سعيد: ٧٨ ب ٥ ح ١٠٩ (٢٢) [illegible]

وإلقاء الفتنة، كما كان مهتماً بنشر قيم الوحدة والتآلف والمودة وله (ص) مشاريع عملية لتعزيز هذه القيم الإنسانية النبيلة، انتهت بالمجتمع المسلم الى ان يصفه الله تبارك وتعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢٣) (الحشر:٩).

لقد حكى القرآن الكريم نماذج من التعصب كتعصب فرعون لأصله واستعلائه على بني إسرائيل ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص:٤)، وكتعصب بني إسرائيل وشعورهم بالأفضلية على سائر الناس وأنهم شعب الله المختار، وتعصب اليهود والنصارى لديانتهم ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:١١١) ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (المائدة:١٨) ﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ (آل عمران:٧٥) وتعصب العرب لقوميتهم ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء:١٩٨-١٩٩) أو التعصب للمال والولد ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ (الأنعام:٥٣) ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (الكهف:٣٤) ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ (الزخرف:٥٢-٥٣).

وتعصب الرجال لجنسهم مما دفعهم إلى اضطهاد المرأة وحرمانها من حقوقها حتى حق الحياة فكانوا يقتلون المولودة الأنثى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير:٨-٩) ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (النحل:٥٨).

وتعصب بعض العشائر والقبائل لنفسها والافتخار على غيرها وانها افضل من الآخرين فلا تزوّج بناتها لغيرهم لكنهم يتزوجون من غيرهم ويسمون أنفسهم (الحُمس) وقد انتقلت هذه العادة الجاهلية إلى بعض المنتمين نسبياً إلى رسول الله (ص).

ويكشف أمير المؤمنين (ع) عن ألمه لتفشي داء التعصب في الأمة بلا رويّة ولا حكمة ولا سبب وجيه يقول (ع) في ذلك (ولقد نظرت فما وجدت أحداً من العالمين يتعصب لشيء من الأشياء إلا عن علة تحتمل تمويه الجهلاء، أو حجة تليط بعقول السفهاء، غيركم، فإنكم تتعصبون لأمر ما يعرف له سبب ولا علة، أما ابليس فتعصب على آدم لأصله، وطعن عليه في خلقته، فقال: أنا ناري وأنت طيني، وأما الأغنياء من مترفة الأمم فتعصبوا لآثار مواقع النعم، فقالوا: نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين)(٢٤).

علاج التعصب:

إن علاج التعصب يبدأ من رفع مستوى الوعي والفكر والثقافة لدى الأمة وإدراك أن التنوع في الجنس واللون والعرق واللغة، وحالة الاختلاف والتعدد في الآراء والأفكار والتوجهات حالة طبيعية اقتضتها طبيعة الناس وإنها من السنن الجارية في الناس ولا يدل شيء منها على أفضلية أحد على أحد وإنما التفاضل بالتقوى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٣) وقال تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (هود:١١٨)، حتى الاختلاف في الهداية والضلال فأنها طبيعية اقتضتها حرية الاختيار للإنسان ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة:٢٥٦) ولو أراد الله تعالى أن يكون كل البشر مهتدين إلى دينه لما أعجزه ذلك ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ (الأنعام:٣٥) ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (المائدة:٤٨).

والخطوة الثانية في العلاج هو الحوار والاستماع إلى الآخر والانفتاح عليه وافتراض ان كل الاحتمالات مفتوحة وان كل النتائج ممكنة والاتفاق على مبادئ يبنى عليها الحوار ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا﴾ (آل عمران:٦٤) ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ:٢٤) وتمثل ارقى مراتب التواضع العلمي والحوار المنفتح فيجعل نفسه - مع انه الحق المطلق - مع الآخر في خط شروع واحد في بداية الحوار فلا توجد بيننا أفضلية أو شروط مسبقة.

والخطوة الثالثة تربية النفس والمجتمع على مبادئ الإنسانية العليا كالتسامح والعفو والرحمة والتعاون والعدالة والانصاف ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ (هود:٨٥) ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة:٨) وتعزيز القيم التي توحّد الناس وتجمعهم كالمواطنة التي تؤسس لمساواة أبناء الوطن الواحد في الحقوق والواجبات من دون تميز قومية أو ديانة أو عشيرة أو مدينة ونحو ذلك.

ونبذ الثقافة الهدامة التي تدعو إلى التعصب والتكفير والحقد والكراهية والاستعلاء والاستبداد والاستئثار والتحذير من مثيري الفتن الذين يجترون بعض خلافات الماضي ويريدون جرّ الأمة إلى الوراء ولا يريدون لها ان تعيش حاضرها ومستقبلها.

التعصب المحمود:

إن الحميّة تكون محمودة اذا كانت لنصرة الدين والأخلاق الفاضلة والدفاع عن الحرمات والنصرة المستندة إلى الحجة والبرهان والدليل وليس إلى الاهواء والمطامع والانتماء إلى الحزب أو العشيرة أو البلد ونحو ذلك، روي عن أمير المؤمنين (ع) (إن كنتم لا محالة متعصبين فتعصبوا لنصرة الحق وإغاثة الملهوف)(٢٥)، وقال موبخاً المتخاذلين ومحرضاً لهم (منيت بمن لا يطيع إذا أمرت ولا يجيب إذا دعوت لا أبا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم أما دين يجمعكم ولا حمية تحمشكم)(٢٦) - أي تثير غضبكم.

وقال (ع) (فإن كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور، التي تفاضلت فيها المجداء النجداء من بيوتات العرب، ويعاسيب القبائل، بالأخلاق الرغيبة، والأحلام العظيمة، والأخطار الجليلة، والآثار المحمودة. فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار، والوفاء بالذمام، والطاعة للبر، والمعصية للكبر، والأخذ بالفضل، والكف عن البغي، والإعظام للقتل، والإنصاف للخلق، والكظم للغيظ، واجتناب الفساد في الأرض)(٢٧).

وهذه الحمية والغضب للحق تكون سبباً للتوفيق ودافعا لفعل الطاعات، روي عن الامام زين العابدين (ع) أنه قال (لم يدخل الجنة حمية غير حمية حمزة بن عبدالمطلب - وذلك حين أسلم - غضباً للنبي (ص) في حديث السّلا الذي ألقي على النبي (ص)).

إن من الخطوات المهمة على طريق التمهيد لدولة الحق والعدل تنقية المجتمع من رواسب الجاهلية ومنها التعصب وتربيته على مبادئ الإسلام الأصيل المستقاة من أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين).

وتظهر هذه القيم السامية بشكل جلي وواضح في سلوك اتباع أهل البيت (ع) أيام الزيارة الأربعينية ويعكسون صوراً من التفاني والايثار والمحبة والتضحية ليس لها نظير والمطلوب ادامة هذا السلوك على مدار السنة ما دمنا نعتقد انه حق وفيه رضا الله سبحانه ولأهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) وعدم العودة الى ما يشين وما يسخط الله تعالى وأولياءه.

(٢٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢. (٢٤) غرر الحكم: ٣٧٣٨. (٢٥) نهج البلاغة، الخطبة ٣٩. (٢٦) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢ [illegible]
(٢٧) الكافي: ٢/ ٣٠٨ ح ٥، وقد ذكرت جملة من المصادر قصة اسلام حمزة منها بحار الأنوار: ١٨/ ٢١١ و ٧٣/ ٢٨٥ والسلا هو ما يرافق جنين الحيوان عند ولادته كالكيس الرقيق الذي يحيط به وان أبا جهل وضع سلا جزور على رأس رسول الله (ص) وهو يصلي.

يمكنكم إرسال إستفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)
العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول (ص) أو على عنوان البريد الألكتروني: yaqoobi@yaqoobi.com
موقعنا على الأنترنت: www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي